ازمة دخول الجماعات المسلحة لمدينتي الموصل وتكريت: قراءة علمية في الاسباب ، وطروحات عملية للحلول

د. عامر هاشم عواد رئيس قسم الدراسات الاستراتيجية

بمفاجئة كبيرة لايستطيع العقل العادي دون المركب ان يستوعبها، سيطرت مجموعات مسلحة متعددة[١]، يوم ١٠ حزيران ٢٠١٤ على مدينة الموصل دون مقاومة تذكر من الجيش العراقي الذي انسحب وكان عدده اكثر من ٧٥الف مقاتل في كامل عدتهم وتسليحهم، الامر الذي اثار ويثير تساؤلات عدة عن هذا الانسحاب المخيف الذي لايمكن ان يصدر عن جيش يحمل عقيدة عسكرية قوامها الدفاع عن الارض وتقديم التضحيات . وما زاد الامر سوءاً انه بعد يوم واحد تقدمت تلك المجموعات لتدخل مدينة تكريت ايضاً دون مقاومة فعلية الامر الذي شكل نكبة كبيرة في تاريخ الجيش العراقي.

ان ما حصل لايمكن توقعه، وصفه رئيس الوزراء العراقي بانه خدعة ومؤامرة. الخدعة غير معلومة المصدر، والمؤامرة اكثر التحليلات تنسبها الى شركاء في العملية السياسية العراقية، وقد المح الى ذلك ايضا السيد رئيس الوزراء نوري المالكي.

أن العودة لمرحلة ماقبل العاشر من حزيران ليست بالامر السهل، كما ان نتائج ما حصل لن تكون سهلة ايضا، واخشى ما يخشى منه هو تقسيم العراق على اسس طائفية غير جغرافية، لان ذلك يعني انهاء العراق كدولة موحدة، وتطبيقا لمشروع جوزيف بايدن سيء الصيت.

ان تحليلا مبسطا لما حصل، يجعلنا نرجح مجموعة اسباب لذلك، ابرزها:

١- الخلافات السياسية بين افرقاء العملية السياسية وفقدان الثقة بينهم. ونعتقد ان هذا هو السبب الابرز من بين اسباب ما حصل. ذلك ان فقدان الثقة بينهم انعكس على الاداء السياسي العراقي، وانعكس على اداء القوات العسكرية المسلحة. كما ان المجموعات المسلحة ومنهم تنظيم الدولة الاسلامية في العراق والشام (داعش) استغلت تلك الخلافات التي افرزت فراغات سياسية وامنية، فنفذت من خلالها لتحقق اهدافها. في هذا الموضوع يثاؤر تساؤل مهم للغاية، تحدث حوله رئيس الوزراء بقوله ان المجموعات وجدت حواضن بين الناس هناك، والسؤال لماذا تلك الحاضنة؟ هل هو الخوف ام عوامل اخرى؟؟

٢- بناء العملية السياسية على اسس غير صحيحة، اذ بنيت على اساس المحاصصة الطائفية والقومية مما افرز نتائجا سلبية على مستقبل العراق ومستقبل العملية السياسية برمتها. كما ان المحاصصة افرزت حكومات ضعيفة وغير متفقة، الامر الذي اثر في اداء وظيفتها اثر خلافات مستمرة وانسحابات متكررة كان هدف الكثير منها افشال عمل الحكومة.

٣- شعور فئة كبيرة من العراقيين بالتهميش والاقصاء، كما تحدث ابناء محافظات كاملة عن تهميشهم وشعورهم بانهم لايتمتعون بالحقوق التي لهم لانتمائهم للعراق الواحد. ان ذلك افرز شعورا سلبيا تجاه العملية السياسية وعملية التغيير في العراق وتجاه كل ماهو حكومي احيانا. ان من نتيجة ذلك تولد الاحتقان الذي لم يخدم استقرار الاوضاع في العراق. رافق ذلك رفض الحكومة للتظاهرات الشعبية ورفض تنفيذ كثير من المطالب، ناهيك عن انتهاك حقوق الانسان في السجون العراقية، وتطبيق قوانين كثيرة على اسس انتقائية

٤- جريمة بناء القوات المسلحة من قبل الولايات المتحدة على اسس غير صحيحة. فبعد ان حل الجيش العراقي السابق من قبل الولايات المتحدة، عمدت الاخيرة لبناء قوات عسكرية جديدة قائمة على صفة التعاقد لايحمل عقيدة عسكرية واضحة وغير كفوء، اشبه بالشرطة المحلية، مهمته حفظ الامن داخل المدن ، الامر الذي ادى به لان يحتك بشكل مباشر مع المواطن فولدت الاحتكاكات امورا سلبية اثرت على العلاقة الترابطية والتعاونية بينه وبين والمواطنين لاسيما في مناطق معينة تتميز بالسخونة. ناهيك عن صفقات الاسلحة التي شابتها امور الفساد، ووجود مايسمى (الاعداد الفضائية)من الجيش، وكذالك تداخل مهمات الجيش مع مهمات الاجهزة الامنية الاخرى.

٥- مواقف القوى الاقليمية والدولية المؤثرة في الوضع العراقي. وهذه واحدة من ابرز السلبيات التي عانى منها العراق، اذ اصبح ساحة لصراع دولي واقليمي واضح. ان ايران والسعودية وتركيا والولايات المتحددة، نماذج لقوى اقليمية ودولية جعلت من العراق ساحة لتصفية خلافاتها، مما اثر سلبا على عمل الحكومة والجيش. ان تلك العوامل مجتمعة، هي عوامل رئيسة لما تعرض له العراق من ازمة اثرت على وضعه بالمجمل. المهم هنا كيفية الخلاص من الازمة وتقليل اثارها السلبية.

ان ذلك يمكن ان يحصل اذا ما تحقق الاتي:١- اعادة بناء العملية السياسية من جديد وفق اساس صحيح، ونبذ المحاصصة واعادة النظر بالدستور وتعديل كثير من مواده، وابرزها ما يفرز توضيحا للصلاحيات والحيلولة دون تداخلها او تركزها في يد سلطة دون الاخرى.٢- الحوار الحقيقي والجاد والفعال بين الافرقاء السياسيين بما يجعل من هم الوطن اولا دون القومية او الطائفة او العرق. ان من شان ذلك ان يكسب الثقة المتبادلة وان يفرز الى تشكيل حكومة جديدة بعيدة عن الانتماءات الطائفية والقومية.٣- العمل على تقليل تاثير الاطراف الاقليمية والدولية الى اكبر حد ممكن. ان انهاء التاثير الايراني والامريكي لايمكن الوصول اليه الان، ولكن من المهم تقليل تدخل تلك القوى في الشان العراقي. ولنتذكر هنا ان الولايات المتحدة تخلت عن واجبها في الاتفاقية الامنية القاضي بحماية امن العراق، وتعللت بان مايحصل هو حرب بين الطوائف وليس تهديدا خارجيا لامن العراق.٤- اعادة بناء الجيش العراقي على اسس جديدة، وتفعيل نظام التجنيد الاجباري، حتى يكون الجيش منظومة تضم داخلها كل العراقيين من شتى المشارب. والعمل وفق عقيدة عسكرية فعالة قوامها ان جيش العراق هدفه الدفاع عن ارضه ضد كل عدو، كما ان من المهم اعادة ضباط الجيش السابق او الاستفادة من خبراتهم دون تركهم بدون عمل او مقيمين خارج العراق.٥- البدء باجراءات حكومية فعالة لبناء الثقة وكسب ود ابناء المحافظات التي شهدت الاعمال المسلحة، والعمل عبر اليات لنصل الى نتيجة ان انتماء الجميع لعراق واحد هو امر واقع وان للجميع نفس الحقوق مثلما عليهم نفس الواجبات.٦- تفعيل العمل بقانون المحافظات، وانتهاج اللامركزية في ادارة

المحافظات بان تدير المحافظات نفسها بنفسها، وتقليل المركزية في علاقة العاصمة بها. كلمة اخيرة، ان العراق على مفترق طرق. اما انه سيتجه نحو الهاوية والتقسيم والتوجه نحو الحرب الاهلية ان لم تتخذ السياسات الصائبة. او ان العقلاء امام مهمة تاريخية قوامها الحفاظ على العراق. واختم بكلام السيد جعفر محمد باقر الصدر حينما قال" سياتي يوم يندم فيه الجميع على خسارة وطن هو مهد الحضارة وارض الانبياء ومستودع الائمة". نسال الله ان لاياتي مثل ذلك اليوم وان يحفظ العراق من كل ايادي السوء.

---

[١] – ان القول بتعددية الجماعات المسلحة التي قامت بدخول مدينة الموصل وليس جماعة داعش الارهابية وحدها له ما يبرره، ومن ابرز تلك الامثلة هو الحفاظ على حياة الجنود العراقيين دون قتلهم، ولو كان داعش من اسرهم لم يكن ليترك جنديا دون قتله ، اذ ان ذلك يدخل في صميم اعتقاده التكفيري